أفضل العطايا

يُعرف شهر ديسمبر (كانون آلثاني) بانه الشهر الذي فيه يحتفل العالم بعيد ميلاد المسيح «كريسماس». عليك أن تحكم بنفسك ما إذا كان يجب أن تتجاهل كل ما يحدث، أم تستخدمه كنقطة البداية للتعليم. إذا قررت أ تفعل الأخير، قد يساعدك هذا الدرس في ذلك.

تأليف: دفيد روبر

قد تم منح عطايا عجيبة خلال السنين. صنع نبوخذناصر حدائق بابل المعلقة (إحدى عجائب الدنيا السبع) وأهداها لعروسته بسبب حنينها إلى وطنها الاصلي. وقيل بان نابوليون بونابرت أهدى زوجته جوزفين تاجاً مرصعاً بـ ٨٨٠ ماسةً. واشترى جورج بولت مالك فندق جزيرة من الجزر التي تسمى بـ« ألف جزر » في نهر سنت لورنس ونُحتت على شكل قلب هدية لزوجته.

ما هي أفضل عطية استلمتها على الاطلاق ؟ تصعب الإجابة على هذا السؤال؛ ولكن مجرد طرح هذا السؤال مر بخاطري مشهد معين. كنت في حوالي العاشرة من عمري، وكان أخي كوي في حوالي السابعة من عمره. كنا نود جداان يكون لدينا عربة دُمية، ولكن والدينا كانا يقولان بان « الوضع المادي عندهما كان صعباً ». كان أخي مبتهجاً لفكرة شراء العربة. وإذ لم أود لقلب أخي الصغير أن ينسحق، شرحت له بحرص كيف انه لم يكن بالامكان شراء عربة. ولكن يا للعجب فقد حصلنا على عربة! وكانت تلك عطية رائعة.

منحنا أنا وزوجتي بعطايا كثيرة على مر السنين. كلما ننظر إليها يفيض عقلينا بذكريات عن الناس الذين نحبهم. لقد احتفظت بحزام مقياس خصر ثلاثين بوصة (٤٠ سنتمتر) لمدة سنتين – مع ان هذا القياس لا يلائمني منذ ان كنت مراهقاً – لأن كان ذكري طيبة من ابنتي التي أهدتني إياه بمناسبة عيد ميلادي.

طبعاً العطايا الأعز هي التي يهب فيها الناس أنفسهم بطريقة ما. أعطى الوالد ابنه قطعة ورقة مكتوب عليها: إلى ابني. أعطيك ساعة في كل يوم من أيام الأسبوع وساعتين في أيام الأحاد لكي تستخدمها كما شئت. وشكراً. من والدك ».

يمكن لمعظمنا ان نتذكر العطايا الرائعة التي استلمناها وتلك التي استلمها الآخرون أيضاً، ولكن أظن بان أفضل العطايا قد أتت من الله. لا ينبغي أن نتعجب بسبب هذا، لأن يعقوب قال: « كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار ... » (يعقوب ١: ١٧).

يعطينا الله الكثير جدا: « يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء » (أعمال ١٧: ٢٥). وهذا يشتمل على كل بركاتنا الروحية « ... أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى ... » (٢ بطرس ١: ٣). ولكني أفكر بعطية معينة (وخاصة جداً) قد أعطانا الله إياها.

قد تعلم الآن إلى أي نص من نصوص الكتاب المقدس اتجه الآن – إنجيل يوحنا ٣: ١٦: « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية ». لقد أحب الله العالم أجمع. يا لقائمة العطايا! أحياناً أشعر بارتباك عندما افكر بعدد الناس الذين أريد أن اشتري لهم الهدايا في السنة. ولكن قائمة الذين أُعطيت لهم العطايا لا تقارب القائمة التي لدى الله. يعطي الله كل شخص!

تقدير العطية الأفضل

الجزء الأول من العطية الأفضل

تتألف «العطية الأفضل» من جزئين. الجزء الأول هو يسوع نفسه: «بذل الله ابنه الوحيد». جاء هذا الجزء من العطية إلى هذا العالم على شكل طفل صغير. أذكر كلام الملاك للرعاة: «لا تخافوا! فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب» (لوقا ٢: ١٠ و١١).

تُرى أهمية هذه الولادة في إنجيل يوحنا ١: ١ و١٤، حيث يقول: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله»؛ «والكلمة صار جسداً وحل بيننا ...» تسمى صيرورة الله بالتجَسُّد. بدون التجَسُّد لما كان للصليب معنى. ولما كان هناك تجَسُّد من غير الولادة العذرية (متى ١: ٢٣). ما أحزن أن نرى الناس يحتفلون بعيد ميلاد المسيح وفي الوقت نفسه ينكرون الولادة العذرية.

ولكن كان ميلاد يسوع مجرد «أول نظرة خاطفة» فقط في عطية {الله}. وُلد يسوع من أسرة وديعة ووضيعة وتربى على ضروريات الحياة فقط. «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢ كورنثوس ٨: ٩).

كان كل ذلك يقود إلى الإعلان الكامل عن العطية. استمر بولس بالكشف عن العطية في الرسالة إلى أهل فيلبي ٢: ٦-٨ إذ يقول:

> الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب نفسه خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب.

لم «يعطي» الله ابنه بمفهوم إرساله إلى العالم فحسب، بل بذله لغرض معين، وهو: أن يموت على الصليب من أجلنا!

تشدد الأسفار المقدسة مراراً وتكراراً على أن تضحية يسوع كانت (وما زالت) هبة: متى ٢٠: ٢٨ «كما أن ابن الإنسان لم يأتي ليُخْدَم بل ليَخْدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين». عندما أسس يسوع العشاء الرباني، أخذ الخبز الفطير وقال: «هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري!» (لوقا ٢٢: ١٩). وفي الرسالة إلى أهل غلاطية ١: ٣ و٤ كتب بولس عن «ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا». وفي غلاطية ٢: ٢٠ كتب بولس بصفة شخصية أكثر عندما تحدث عن «... ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي».

النصوص التي كتبها بولس عن هذا الموضوع قد تستمر إلى حد غير محدود:

> «واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحةً لله رائحة طيبة» (أفسس ٥: ٢).

> «لأنه يوجد ... وسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع ...» (١ تيموثاوس ٢: ٥ و٦).

> «منتظرين الرجاء المبارك وظهور ... مخلصنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا ...» (تيطس ٢: ١٣ و١٤).[1]

من الصعب علينا أن نقَدِّر بالتمام ثمن العطية. قال سيسرو بان الصَلب هو «أبشع وأفظع تعذيب». وقال كلاوسنر: «الصلب هو أرعب وأبشع {طريقة} موت ابتكرها الإنسان على الاطلاق للانتقام من رفيقه الإنسان». يخبرنا سفر إشعياء ٥٣: ٥ بعض التفاصيل عن

[1] ربما يجب أن تذكر بان الله لم يخبرنا في العهد الجديد بان نحتفل بعيد ميلاد المسيح مرة واحدة في السنة، بل أوصانا بان نتذكر موت يسوع مرة واحدة في الأسبوع. تخبرنا الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١١: ٢٣-٢٦ عن تأسيس العشاءالرباني. وبإرشاد من الروح القدس اجتمعت الكنيسة المبكرة في كل أول يوم في الأسبوع {يوم الأحد} (١ كورنثوس ١٦: ١ و٢)، وعند اجتماعهم كانت عبادتهم تتمركز على العشاء الرباني (أعمال ٢٠: ٧). كانوا يتناولون العشاء الرباني في كل أول يوم في الأسبوع - ليس مرة واحدة في السنة، بل في كل أول الأسبوع!

آلام يسوع على الصليب: «وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شُفينا». ضع التوكيد على هذه الكلمات بذهنك: «مجروح»، «مسحوق»، «تأديب»، «بحبره {أي بجراحه}». يخبرنا علم الطب بان هناك خمسة أنواع من الجروح. وقد عانى يسوع منها جميعاً لأجلنا:

(١) الجرح بالكدم، وتسببه أداة كليلة أي غير حادة. ضُرب يسوع على رأسه بقضيب كما تم التنبوء عنه في سفر ميخا ٥: ١.

(٢) الجرح بالتمزيق، وتسببه أداة حادة. الأسواط التي بألسنتها أداة حادة والتي كان يحملها القائمون بالتعذيب قد تسبب آلام لا يمكن وصفها.

(٣) الجرح الخارق، وتسببه أداة حادة مدببة الرأس. كان طول الأشواك الموجودة بالإكليل الموضوع على رأس يسوع حولي الأربع بوصات على الأقل. عندما ضغط الجنود على ذلك الإكليل وانهالوا عليه ضربا بالقصبة (متى ٢٧: ٢٩ و٣٠)، ادى ذلك في جروح خارقة.

(٤) الجرح الثاقب، وتسببه أداة ثاقبة. مثل المسامير التي ثقبت بين العظام دون كسرها وهذه تتسبب في الام مفرطة. «ثقبوا يديّ ورجليّ» (مزمور ٢٢: ١٦).

(٥) جرح قاطع، وتسببه مدية قاطعة. «ولكن واحد من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء» (يوحنا ١٩: ٣٤).

عندما نضيف الألم الروحي الذي عانى منه يسوع، نستخلص أن هذا كان أغلى عطية على الاطلاق. وللعجب أُعطيت طوعاً. وضع يسوع التوكيد على قوله: «... أضع نفسي لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي ...» (يوحنا ١٠: ١٧ و١٨).

كان الجزء الأول من عطية الله ذات الجزئين هو يسوع نفسه – مات على الصليب من أجلنا. «فشكراً لله على عطيته التي لا يُعَبِّر عنها» (٢ كورنثوس ٩: ١٥).

الجزء الثاني من العطية الأفضل

الجزء الثاني من هبة الله هو تضحية يسوع، أي الخلاص الذي يأتي بواسطة الصليب! «لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله» (أفسس ٢: ٨). «لأن أجرة الخطية هي موت. وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا». (رومية ٦: ٢٣).

عندما يتحدث الشخص عن إمكانية خلاصه للأبد، ماذا يكون رد الفعل من جانبنا؟ هل ننتعش، أم نكتم الملل؟ أتصور البعض وهم يجيبون: «لقد سمعت عن هذا مئات المرات؛ انه لا جديد في ذلك». أتمنى أن لا ينطبق هذا عليك. أتمنى انك تعرف روعة الخلاص حقاً. حكى جو بارنيت عن غلام اسمه مارك:

> عندما يفكر مارك بـ{يوم العطلة أو العيد} يتذكر كيف كان ذلك قبل ثلاث عشرة سنة عندما كان يبلغ من العمر أربع سنوات ... كان ذلك قبل أن يكتشف والداه الخمر:
> ... قبل المشاجرة والاهملات والبطالة؛
> ... قبل الطلاق الذي فرق بين مارك وأباه بمسافة ألفي ميل وحادث السيارة الذي فرق بينه وبين أمه إلى الأبد؛
> ... قبل أن يعرف كيف يتم قضاء العطلات {أو الأعياد} في الإصلاحية؛
> ... قبل أن يكتشف أن تدخين القليل من {الماروانا} يبعد بينه وبين العالم البشع الذي كان يعيش فيه؛
> ... قبل القبض عليه.
> تم إطلاق سراح مارك في العام الماضي وأخذه زوجان ليربياه. وكان هذا أول خطوة صغيرة في صعوده من اليأس. كان والداه بالتبني مسيحيان. بدأ مارك يكتشف من جديد ماذا يعني أن يكون محبوب، ويُعتنى به حقاً.
> ذهب بتردد مع والداه الجديدان إلى خدمة العبادة ...
> والتقى مع أناس آخرين من عمره. رحبوا به، وشاركوه، وعلموه.
> وإذ اقتنع أخيراً بانه يمكن إزالة ماضية إلى الأبد تعهد بحياته ليسوع. كان ذلك قبل ستة أشهر. ما زال الماضي مؤلماً، ولكن أصبح التغير أمراً لا يُصَدَّق ...
> سيكون مسروراً في هذا {العيد}. سيهتم به والداه الجديدان. يحاولان أن يعطياه المحبة والاهتمام اللذان فقدهما لوقت طويل.
> ولكن له أيضاً خطط أخرى لـ{أيام العطلات أو الأعياد}. سيعود مرة أخرى إلى مدرسة الإصلاحية إذا سمحا له بذلك. قال: «أريد أن

أقول لأولئك الغلمان كيف يكون الشعور عند الخروج من الوحل والسير مع يسوع. أريد أن أقف أمام هؤلاء الأطفال الوحيدون المنبوذون، وأقول أهم الكلمات التي أعرفها: هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣: ١٦).

أني أومن بان يسوع والخلاص الذي يقدمه هما «العطية الأفضل»، وأتمنى انك تؤمن بهذا أيضاً. قد تجد أو قد لا تجد هدية من الناس في هذه السنة، ولكن لا عطية تستلمها تفوق العطية التي أعطاك الله إياها!

قبول العطية الأفضل

لا بد أن أقول بعض الكلمات عن قبول عطية الله. كتب بولس قائلاً: «فإذ نحن عاملون معه نطلب أن لا تقبلوا نعمة الله باطلاً» (٢ كورنثوس ٦: ١). هذه الآية تدل على ضرورة «قبول» عطية نعمة الله. وتشير أيضاً إلى أنه بعد ما تقبلها يمكن أن تفقدها. يضع كل هذا التوكيد على المسؤولية الشخصية بما يختص بعطايا الله.

لا يدرك كل شخص مفهوم «المسؤولية الشخصية». يظن البعض بانه ما دام الخلاص عطية فلا حاجة لنا إلى بذل الجهد. أني أوافق بسهولة على انه لا يمكننا (أنت وأنا) أن نستحق عطية الله بجهدنا، ولكن لا بد أن نقبلها – وهذا يتطلب طاعة لوصايا الله.

عندما كنت أعمل مضيفاً في برنامج تلفزيوني بعنوان «الحق في المحبة» جاء أخي كوي وتحدث في هذا البرنامج عن نعمة الله. وعندما أعطى التطبيق تحدث عن قميص كان والدتنا قد أهدته. وتحدث عن الخطوات اللازمة التي وجب عليه أن يتخذها لكي ينال الهدية. أولاً كان عليه أن يفتحها. ثم عليه أن يقلع كل الدبابيس وينزع قطعات الكرتون والبلاستيك المستخدمة لتعبئة القمصان. وأخيراً كان عليه أن يلبس القميص. قام كوي بحساب جميع الأفعال المختلفة التي كان يجب عليه القيام بها قبل ان يستخدم الهدية، فوجدها ثلاثة عشر. ثم طرح السؤال: «هل كان عليَّ أن أقول لوالدتي: يا والدتي، لم يعد ذلك القميص عطية منك لأنه كان عليَّ أن أقوم بثلاثة عشر عملاً مختلفاً قبل استخدامه؟» فأجاب وقال: «كلا! انه ما زال هبة. قمتُ فقط بما وجب القيام به لاستخدام العطية». هكذا أيضاً بعد ما نقوم بما يخبرنا الله ان نقوم به، لا يزال الخلاص عطية. كل ما نفعل هو استلام وقبول واستخدام عطية الله الرائعة.

كيف نقبل العطية الأفضل من الكل؟ نحن (أنت وأنا) لا نستطيع أن نعرف هذا بطريقتنا الخاصة الرب وحده يخبرنا بذلك. أفكار الله ليست أفكارنا؛ ولا طرقه مثل طرقنا (إشعياء ٥٥: ٨ و٩). لقد أعطانا الرب إجابته على السؤال «كيف؟»

في الأصحاح الثاني من كتاب أعمال الرسل كرز بطرس عن يسوع. قال: «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً» (آية ٣٦). فلما سمع الحاضرون وخزتهم قلوبهم وصاحوا: «ماذا نصنع ...؟» (آية ٣٧). قال لهم بطرس: «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس» (آية ٣٨). وأيضاً في الأصحاح ٢٢ من أعمال الرسل قيل لخاطيء تائب: «والآن لماذا تتوانى. قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب» (آية ١٦).

لكي نخلص، ينبغي أن نؤمن بيسوع، ونتوب عن خطايانا، ونعتمد (بالتغطيس في الماء). لستُ أتحدث هنا عن مجرد الوفاء بمتطلبات معينة، بل عن اعطاء الذات؛ أي عن التعهد لمدى الحياة.

يريد الله منا الالتزام. مدح يسوع تبرع الأرملة الفقيرة، إذ قال: «... هذه من إعوازها ألقت كل ما عندها كل معيشتها» (مرقس ١٢: ٤٤). كان لأهل مكدونية مثل هذا التعهد. كتب عنهم بولس قائلاً: «... أعطوا أنفسهم أولاً للرب ...» (٢ كورنثوس ٨: ٥).

أعط نفسك للرب، وستترتب أولويات حياتك. ستعرف ماذا تفعل بوقتك، ومالك، وقدرتك، ومواهبك.

الخلاصة

قال يسوع لتلاميذه: « ... مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا » (متى ١٠: ٨). لقد أعطاك الله مجاناً العطية الأفضل من الكل. أصلي أن تعطيه حياتك مجاناً.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧